

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

[تفريغ الكلمة الصوتية]



الحلقة الأولى

"رسالة الأمل والبِشر لأهلنا في مصر"

للشيخ المجاهد

أيمن الظواهري

حفظه الله



الصادرة عن مؤسسة السّحاب للإنتاج الإعلامي



ربيع الأول 1432هـ | 2- 2011م

يقدم تفريغ الحلقة الأولى من رسالة

الأملِ والبِشرِ لأهلنا في مصر

للشيخ المجاهد/ أيمن الظواهري
(حفظه الله)



الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي
16 ربيع الأول 1432 هـ
19/2/ 2011 م

بسم الله, والحمد لله, والصـلاة والسـلام على رسـول الله وآله وصحبه ومن والاه.
أيها الإخـوة المسـلمون في كل مكـان, السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته, وبعد:
أود أن أتوجه اليـوم برسـالةٍ لأهلنا بمصـر, وهي في الحقيقة رسالةٌ لكل المسلمين, لأن ما حدث ويحدث في مصر قد تكـرر ويتكـرر في الكثـير من بقـاع عالمنا الإسـلامي, وما اختيـاري لمصر إلا لأضـرب أمثلةً عملية من تاريخنا المعاصر على مأسـاةٍ تكرّرت في أكـثر من بقعة, وقد تختلف التفاصـيل الدقيقة ولكن تبقى السمات العامة هي هي في سائر عالمنا الإسلامي.
ولأني أود أن أتحـدث بشـيءٍ من التفصـيل حـتى تتضح الصورة فقد رأيت أن أقسِّم حديثي هذا لعدة حلقات.

فأبدأ مستعينًا بالله في هذه الحلقة الأولى فأقول:

إني أود أن أتناول حال مصر عبر طرح سؤالين:
الأول هـو: ما هو هـذا الواقع الـذي تعيشه مصر وتعيشه مثلها الكثير من بلدان عالمنا الإسلامي؟
والسؤال الثاني هو: كيف نغير هــذا الواقع إلى ما أراده لنا الإسلام من عز في الدنيا وفوزٍ في الآخرة؟

فإجابةً على السؤال الأول أقول:
إنّ واقع مصر هو واقع الانحـــراف عن الإســـلام بكل ما يسـتتبعه ذلك من فسـادٍ وإفسـاد وظلمٍ وقهـرٍ وتبعيـة, فهناك الفساد العقائدي, والفسـاد السياسي, والفسـاد الاقتصادي والمالي والفساد, الاجتماعي والخُلُقي.
فأما عن الفســاد العقائـدي للنظــام المصــري, فأبــدأ بتحديد هوية هذا النظـام, فالنظـام المصـري كما تقـول وثائقه الأساسية, هو نظامٌ علماني ديمقراطي عصـبي, أما في حقيقته فهو نظـامٌ علمـاني اسـتبدادي عصـبي, وربما أيضًا توريثي.
فأما كونه علمانيًّا فيعـني أنه نظـامٌ لا ديـني, فالعلمانية في حقيقتها هي اللادينيـــة, أو إن شـــئت التحديد فهي اللامعيارية, أي هي عقيـــدة لا ترتبط بأية قيمة ثابتــــة دينية أو خُلُقية أو غيرهــا, وما الشـريعة الإسـلامية في دسـتور النظـام إلا مصدرٌ من مصـادر متعـددة يمكن أن يؤخذ بها أو لا يؤخـــذ, أي أنّ مَن يحدِّد القيم والعقيـــدة في دستور النظـام ووثائقه الأساسـية ليس هو المـولى ســـبحانه كما يقـــرر القـــرآن ذلك في وضـــوحٍ لا يقبل التمـــييع, فيقـــول ســـبحانه: (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّــهِ أَمَــرَ أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَــكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ).
ولكن مَن تُحدد عقيدة النظام وتوجهه هي سلطةٌ أخـرى يزعم الدستور أنها الشعب عبر تأكيـده على أنّ السـيادة للشـعب, وينبئنا الواقع أنها سـلطة الفرعـون المعاصر في القصر الجمهـوري, وإن كـانت السـلطة والسـيادة والمرجعية في النظـــام المصـــري فهي ليست لله كما يؤكد القــرآن, ولكنها لنـدٍّ آخر ينــازع المـولى ســبحانه

وتعالى في سلطته وخصائصه, وهـذا ما يسـميه القـرآن بـ"حكم الجاهلية", حيث يقول سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

وأما كونه ديمقراطيًّا نظريًّا فيعـــني أنّ الســـيادة فيه لهـــوى الأغلبية دون الارتبـــاط بأيـــة قيمة أو خلق أو عقيدة, والدولة الديمقراطية لا تكــون إلا علمانية -أي لا دينية- لأن الحاكمية والمرجعية فيها ليست لله ســبحانه وحده بل لهوى الأغلبيــة, والدولة العلمانية الديمقراطية يســمونها تلطّفًا أو خِـداعًا بالدولة المدنيــة, وهو لفــظٌ يُكثِر من ترديـــــده للأسف بعض المنتســـــبين للعمل الإسلامي.
فالدولة المدنية في حقيقتها هي الدولة اللادينية الــتي تتحاكم لهوى الأغلبية دون الالتزام بأية قيمةٍ أو خُلُـقٍ أو عقيدة.

مؤسسة السحاب:
ومن أظهر الأدلة على مخالفة الدســـتور والقـــوانين المصرية للشريعة الإسلامية ما أقرّ به القضـاء المصـري العلمـــاني, حيث أقـــرّ القاضي عبد الغفّـــار محمد في القضـــية 462/81 أمن دولة عليا طـــوارئ, والمعروفة بقضية الجهاد الكبرى والـتي تُعد أكـبر قضـيةٍ في تـاريخ القضاء المصري في حيثيات حكمه على الآتي:
"بخصـوص الموضـوع الثـاني فالـذي اسـتقر في ضـمير المحكمة أنّ أحكام الشـريعة الإسـلامية غـير مطبقة في جمهورية مصر العربية".
كما قرّر أيضًا في موضعٍ آخر: "حقيقةً إنّ المـادة الثانية من الدســتور بعد تعـديلها نصّــت على أنّ الإسـلام دين الدولة الرسـمي واللغة العربية لغتها الرسـمية ومبـادئ الشـريعة الإسـلامية المصـدر الرئيسي للتشـريع, إلا أنه يكفي المحكمة تـدليلاً على أنّ أحكـام الدسـتور لا تتفق مع أحكـام الشـريعة الإسـلامية ما قـرّره عمر أحمد عبد الـرحمن باعتبـاره من علمـاء المسـلمين أمـام المحكمة في جلسة 3 سـبتمبر 1983م من أنّ الدســتور يتصـادم مع الشريعة الإسلامية ولا يتحاكم إليها".
"حيثيـــات الحكم في القضـــية 462/81 أمن دولة عليا

طـوارئ المشـهورة بقضـية الجهـاد الكـبرى ص: 265 و 363 و 364 نقلاً عن كمال خالد المحامي: هـؤلاء قتلـوا السـادات, أسـرار المرافعـات في تنظيم الجهـاد -دار الاعتصام ص: 180 و 181 و 260 و 261"

الشيخ أيمن الظواهري – حفظه الله:
والنظـام في مصر يـزعم دسـتوره أنه ديمقـراطي, وحقيقته أنه نظامٌ قهري يحكم الشعب بـأجهزة البطش والانتخابات المزوّرة والإعلام الفاسد والقضاء الجائر.

وأما كونه عصـبيًّا فيعـني أنه يلـتزم بالدولة القومية, أي الدولة الـتي يكـون الانتمـاء فيها للـوطن والأرض وليس للعقيدة والشريعة, وبالتالي تفرِّق بين الناس, فمن كان من أهل الأرض أو الإقليم المحـدّد فهو مـواطن, ومن كـان من خـارج الأرض أو الإقليم المحـدّد فهو أجنـبي لا يمكن أن يتمتّع بما يتمتّع به المـواطن من حقـوق, فالكنـدي في أمريكا, والسـوداني في مصر, والتونسي في ليبيا, واليمـني في السـعودية؛ لا يمكن أن يكـون رئيسًـا للدولة ولا للـوزراء ولا قائـدًا للجيش ولا نائبًا ولا ناخِبًا, بل وفي السـعودية لا يمكن لأغلب الأجـانب والأجنبيات أن يتزوجوا من المواطنين والمواطنات, (أَمْ لَهُمْ شُـرَكَاء شَـرَعُوا لَهُم مِّنَ الـدِّينِ مَا لَمْ يَـأْذَن بِـهِ اللَّهُ وَلَـوْلَا كَلِمَـةُ الْفَصْـلِ لَقُضِـيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).
إذًا فهو نظامٌ يكرِّس ويحقق اتفاقية سايكس بيكو الـتي قسّمت دولة الخلافة العثمانية بين الإنجليز والفرنسيين والروس.

مؤسسة السحاب:
في مارس عام 1916م عُقِدت معاهدة "بطرسبرج" بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية, والـتي تعد معاهـدة "سايكس بيكو" الموقّعة في مايو من عـام 1916 الجـزء الخاص التنفيـذي لها, وقد قسّـمت تلك المعاهـدة أملاك الدولة العثمانية, وكانت أهم مبادئ هذه المعاهدة هي:
أولاً: تُمنح روسيا الولايات الشمالية والشرقية.
ثانيًا: تُمنح بريطانيا وفرنسا الولايـات العربية من الدولة

العثمانيــة, فتُمنح فرنسا ســوريا ولبنــان وجنــوب تركيــا, وتُمنح إنجلترا فلسطين والعراق ومشيخات الخليج.
ثالثًا: تدويل الأماكن المقدّسة في فلسطين.
أما المغرب الإسلامي ومصر فقد تم سلخهما من الدولة العثمانية من قبل وتقاســمهما الإنجلــيز والفرنســيون والإيطاليون والأسبان.
وأما الحجـــاز فكـــان شـــريفه متحالفًا مع بريطانيا ضد الدولة العثمانيـــة, وأما عبد العزيز آل ســعود فكــان قد وقّع معاهـدة "دارين" مع الحكومة البريطانية الـتي أقـرّ فيها بــالولاء لبريطانيا وأن لا يقطع أمــرًا دون إذنهــا, وذهب كل ما كتبه علمــاء الــدعوة النجدية عن الـــولاء والبراء ومعاداة المشركين أدراج الرياح.

في 26 من ديســمبر لعــام 1915م وُقِّعت معاهـــدة "دارين" بين "برسي كــوكس" المعتمد البريطــاني في الخليج وبين عبد العزيز آل سعود, وكان مما جاء فيها:
"1- تقدر الحكومة البريطانية وتعترف بأن نجدًا والحسا والقطيف وجبيل وملحقاتها وأراضـــــيها, هي بلاد ابن سعود وآبائه, ومن بعـده بـأولاده وخلفائه بالوراثة ولكن بشرط أن لا يكـون -أي الحـاكم- شخصًـا معاديًا للحكومة البريطانية بحالٍ من الأحوال.
2- يوافق ابن سـعود هنا ويتعهّد بالامتنـاع عن الـدخول في أية مراسلةٍ أو اتفاقٍ أو معاهدةٍ مع أية أمّـةٍ أو دولـةٍ أجنبيــة, وأكـثر من ذلكٍ أن يُطلع السـلطات السياســية للحكومة البريطانية على أية محاولة من جـانب أية دولـةٍ أخرى للتدخل في الأراضي المذكورة آنفًا.
3- يتعهّد ابن سـعود على وجه الإطلاق بأنه لن يمنح أو يبيع أو يرهن أو يـؤجِّر أو يتخلى عن الأراضي المـذكورة أو أي جــزء منها أو يعطي الامتيــازات في تلك الأراضي لأية دولةٍ أجنبية أو رعايا أية دولــةٍ أجنبية بــدون موافقة الحكومة البريطانية, وأنه ســوف يتّبع نصـائحها في ذلك دون تحفّظ بشرط أن لا تكون ضارةً بمصالحه.

الشيخ أيمن الظواهري - حفظه الله:
وهذه العقيدة تخالف الإسلام الـذي يقسِّـم النـاس على أساس التقوى والعمل الصالح, فالمسلمون كلهم إخــوة

متساوون (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ), وديار الإسـلام بإجمـاع العلمـاء بمنزلة البلـدة الواحـدة, عليهم أن يقيمـوا فيها الخلافة, ويتحاكموا فيها للشريعة, يقول الحق سـبحانه: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

وقد فصّـــــلتُ قليلاً الكلام عن العلمانية والديمقراطية والدولة القومية في الجـزء الأول من الطبعة الثانية من كتاب "فرسانٌ تحت راية النبي صـلى الله عليه وسـلم", وكـذلك فصّـلت القـول عن مخادعة الدسـتور المصـري للأمة المسـلمة بحديثـه عن الشـريعة الإسـلامية في رسـالتي "مصر المسـلمة بين سـياط الجلّادين وعمالة الخـائنين". فليراجعها هنـاك من أراد التفصـيل, إلا أني أوجز أهمّ الفـروق بين النظـام المصـري والنظـام الإسلامي بما يلي:

أولاً: النظـام المصـري نظـامٌ علمـاني العقيـدة, بينما النظام الإسلامي نظامٌ ربّاني العقيدة.
ثانيًا: النظام المصـري نظـامٌ يـزعم أنه ديمقـراطي, أي مرجعيته هي هـوى الأغلبية, دون الالـتزام بأية قيمة أو خُلُق أو عقيـدة, بينما النظـام الإسـلامي نظـامٌ شـوري تتحـاكم الأمة فيه للشـريعة وتُحـاكِم إليها حُكامها الـذين تختارهم وتُحاسبهم.
ثالثًا: النظـام المصـري في حقيقته نظـامٌ قهـري يعتمد على البطش والانتخابـــات المـــزوّرة, بينما النظـــام الإسلامي نظامٌ شوريّ يعتمد على نشر العـدل ومقاومة الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
رابعًا: النظام المصري نظامٌ عصـبي يقـوم على أسـاس الدولة القومية الـتي تُكـرِّس أهـداف اتفاقية "سـايكس بيكو", بينما النظـــام الإســـلامي نظـــامٌ يقـــوم على المســـاواة بين المســـلمين ووحـــدة ديـــارهم تحت ظل الخلافة.

والآن بعد أن بيّنتُ بإيجـاز المعـالم الأساسـية للنظـام العلماني العصـبي القهـري في مصر, أود أن أسـرد في عُجالة كيف نشأ هذا النظام في مصر:

كـــانت مصرُ ولايـــةً عثمانية الحكم فيها للشـــريعة, ومع تزايد الفساد في نظام الحكم من جانب الدولة العثمانية والمماليك قـام العلمـاء بعبء الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

مؤسسة السحاب:
ذكر المؤرِّخ الجبرتي -رحمه الله- أثناء حديثه عن حوادث عام 1209 هـ:
وفي شـــهر ذي الحجة وقع به من الحـــوادث أنّ الشـــيخ الشرقاوي له حصة في قريةٍ بشـرقية بلـبيس حضر إليه أهلها وشـكوا من محمد بيك الألفي, وذكـــروا أنّ أتباعه حضروا إليهم وظلمـوهم وطلبـوا منهم ما لا قـدرة لهم عليه واســـتغاثوا بالشـــيخ, فاغتاظ وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع وأمروا الناس بغلق الأسـواق والحـوانيت, ثم ركبـوا في ثـاني يـوم واجتمع عليهم خلقٌ كثـيرٌ من العامة وتبعـوهم, وذهبـوا إلى بيت الشـيخ السـادات بحيث يـراهم إبـراهيم بيك, وقد بلغه اجتمـاعهم, فبعث من قِبله أيـوب بيك الـدفتردار فحضر إليهم وســلم عليهم ووقف بين يـــديهم وســـألهم عن مـرادهم, فقـالوا لـه: نريد العـدل ورفع الظلم والجـور وإقامة الشـــرع وإبطـــال الحـــوادث والمكوســـات الـــتي ابتدعتموها وأحدثتموها.
وركب المشــــــايخ إلى الجــــــامع الأزهر, واجتمع أهل الأطـــراف من العامة والرعية وبـــاتوا بالمســـجد, وفي اليـــوم الثـــالث حضر الباشا -أي الـــوالي العثمـــاني- إلى منزل إبـراهيم بك واجتمع الأمـراء هنـاك, وأرسـلوا إلى المشايخ, فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشـــرقاوي والشـــيخ البكـــري والشـــيخ الأمـــير, وطـــال الحـديث وانحط الأمر على أنهم تـابوا ورجعـوا والـتزموا بما شـــرطه العلمـــاء عليهم, ويبطلـــوا رفع المظـــالم المُحدثة, وأن يكفـــوا أتبـــاعهم عن امتـــداد أيـــديهم إلى أموال الناس, ويسيروا في الناس سـيرة حسـنة, وكـان القاضي حاضـــرًا بـــالمجلس فكتب حجّـــةً عليهم بـــذلك, ورجع المشـــايخ وحـــول كل واحـــدٍ منهم وأمامه وخلفه جملـــةٌ عظيمة من العامة وهم ينـــادون "حسب ما رسم

سادتنا العلماء بأنّ جميع المظالم والحـوادث والمكـوس بطالةٌ من مملكة الـديار المصـرية". (عجـائب الآثـار, ج2 ص 166 إلى 168).

الشيخ أيمن الظواهري - حفظه الله:
ثم جـاءت الحملة الفرنسـية بعقيـدتها العلمانية الـتي لخّصـتها الثـورة الفرنسـية بعبـارة "اشـنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسّيس", وحاول نـابليون بونـابرت أن يخـدع المصـريين بادعائه محبته للمسـلمين والسـلطان العثماني, ولكنه كـان يُخفي علمانيـةً صـلفة مجرمة ذات روحٍ صـليبية ونزعة صـهيونية, حـاول نـابليون أن يمـرر علمانيته على العلمـاء بـأن دعـاهم للبس شـعار الفرنسيين ولكن العلماء واجهوه بشدة.

مؤسسة السحاب:
ذكر المؤرِّخ الجبرتي -رحمه الله- أثناء حديثه عن حوادث شهر ربيع الأول من عام 1213 هـ:
"وفيه طلب صاري عسـكر بونـابرت المشـايخ, فلما استقروا عنده نهض بونـابرت من المجلس ورجع وبيـده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان, كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلي, فوضع منها واحـدًا على كتف الشيخ الشرقاوي فرمى به إلى الأرض واستعفى وتغـير مزاجه, ونزلوا في البلاد مثل الحكام يحبسون ويضربون ويشددون في الطلب, وامتقع لونه واحتـد طبعه, فقـال الترجمـان: يا مشـايخ أنتم صـرتم أحبابًا لصـاري عسـكر وهو يقصد تعظيمكم وتشـريفكم بزيّه وعلامته فـإن تميّزتم بذلك عظّمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلةٌ في قومهم, فقالوا له: لكنّ قدرنا يضـيع عنـد الله وعند إخواننا من المسلمين, فاغتاظ لذلك". (عجـائب الآثـار ج 2 ص 203 و 204)

الشيخ أيمن الظواهري - حفظه الله:
إذا كـان شـعار الثـورة الفرنسـية هو الحرية والإخـاء والمسـاواة فإنه لا ينطبق على المسـلمين, بل للثـورة الفرنسية ولنـابليون في مصر وفي ديـار الإسـلام منهج آخر من العسف والإرهاب والقتل.

مؤسسة السحاب:
كتب نـابليون للجـنرال (زايونشـك) قومنـدان المنوفيـة: يجب أن تعامل الترك -أي المسـلمين- بمنتهى القسـوة, وإني هنا أقتل كل يومٍ ثلاثة, آمر بأن يُطـاف برؤوسـهم في شـوارع القـاهرة, فهـذه هي الطريقة الوحيـدة لإخضـاع هـؤلاء النـاس, وعليكم أن توجهـوا عنـايتكم لتجريد البلاد قاطبةً من السلاح.

الشيخ أيمن الظواهري - حفظه الله:
وبعد سبعة أشهر من دخول نابليون للقـاهرة يتوجه نحو الشام طمعًا في الاستيلاء عليها والوصول إلى القـدس, ولكن تقف عكّا صامدةً في وجهه, فيحاصـرها ثم تتكـاثر خسـائره فيعـود خائبًـا, ولكنه أصـدر بيانًا شـهيرًا عند وصـوله لعكّا على كل مسـلم أن ينتبه إليه ليعلم الوجه الحقيقي للعلمانية الـتي تواجهنا والـتي تتغنى بـالثورة الفرنسية وأمجادها, أصدر نابليون عند وصوله لعكّا بيانه الشـهير ليهـود العـالم بـأن حكومة فرنسا قد تعهّـدت بإعادتهم لوطنهم الأصلي في فلسـطين, ويملأ نـابليون العلماني الذي يزعم محاربة الكنيسة بيانه باستشـهاداتٍ عديدة من الكتاب المقدّس.

مؤسسة السحاب:
كانت حكومة الإدارة الفرنسية العلمانية قد أعـدّت خطة لإقامة كومنـولث يهـودي في فلسـطين, وذلك مقابل تقديم الممولين اليهود قروضًا مالية للحكومة الفرنسية التي كانت تمر آنذاك بضائقة مالية, وكان المفـروض أن يمول اليهود الحملة المتجهة صوب الشرق, وأن يتعهدوا ببث الفوضى وإشـعال الفتنة وإحلال الأزمـات في المناطق التي سـيرتادها الجيش الفرنسي لتسـهيل أمر احتلالها, ولـذا فعنـدما توجه نـابليون للشـام واستعصت عليه عكّا أصدر نداءه الشهير الذي جاء فيه:
من نابليون القائد الأعلى للقـوات المسـلحة للجمهورية الفرنسـية في أفريقيا وآسـيا إلى ورثة فلسـطين الشرعيين, أيها الإسرائيليون أيها الشـعب الفريد الـذين لم تسـتطع قـوى الفتح والطغيـان أن تسـلبهم اسـمهم

ووجودهم القومي, وإن كانت قد سـلبتهم أرض الأجـداد فقط, ولئن كان الوقت والظروف غـير ملائمة للتصـريح بمطــالبكم أو التعبــير عنها بل وإرغــامكم على التخلي عنهــا, فــإن فرنسا تقدم لكم إرث إســرائيل في هــذا الــوقت بالــذات وعلى عكس جميع التوقعــات, يا ورثة فلسـطين الشـرعيين, إنّ الأمة الـتي لا تتـاجر بالرجـال والأوطــان -يقصد فرنســا- تــدعوكم لا للاســتيلاء على إرثكم بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفــــاظ به بضــــمانها وتأييـدها ضد كل الـدخلاء, سـارعوا إنّ هـذه هي اللحظة المناســبة الــتي قد لا تتكــرر لآلاف الســنين للمطالبة باسـتعادة حقـوقكم ومكـانتكم بين شـعوب العـالم, تلك الحقوق التي سُلِبت منكم لآلاف السـنين وهي وجـودكم السياسي كأمّـةٍ بين الأمم وحقكم الطـبيعي في عبـادة "يهوه" طبقًا لعقيدتكم علنًا وإلى الأبد". (يوئيل 20/4). بونـابرت. (موسـوعة اليهـود واليهودية والصـهيونية ج3 ص34, المفاوضــات السـرية بين العــرب وإســرائيل – الكتـــــاب الأول: الأســـــطورة والامبراطورية والدولة اليهودية ص30 إلى 33).

الشيخ أيمن الظواهري - حفظه الله:
فنـــابليون بونـــابرت هو أول سياسي يـــدعو اليهـــود للاسـتيطان في فلسـطين, وقد أصـدر وعـده هـذا قبل وعد بلفور بأكثر من قرن.
إذن, هنا لا بد لنا من وقفة لنبين أنّ العلمانية قد دخلت بلادنا عبر الاحتلال العسكري والقهر والمذابح, ولا زالت تعيش على ذلك كما ســـنرى, وأنّ العلمانية الغربية في مشاعرها الدفينة معاديةٌ للإسلام ومنحازة للصهيونية.
وبعد اســتيلاء محمد علي وأولاده على حكم مصر بـــدأ إدخـال القـوانين الأجنبية الـتي سـبق تسـللها للقضـاء والتشـريع الاحتلال العسـكري المباشر السـافر, ورافق تســللها تزايد النفــوذ الاســتعماري في مصر وتضــخم الجاليـــات الأجنبية فيها, فمهّد ذلك التســلل للقضـــاة والقـوانين للاحتلال العسـكري بالأسـاطيل والجيـوش, ففي عهد الخديوي سـعيد أُنشِـئت سـنة 1855م محكمـةٌ تجاريـة, مجلس تجـار مختلط من المصـريين والأجـانب ليقضي في المنازعـات التجارية الـتي يكـون الأجـانب

طرفًا فيها, ومع تزايد أعـداد الجاليـات الأجنبية ونفوذها نشأت المحاكم القنصلية لتقضي في المنازعات الناشئة بين المصـريين وبين الأجـانب وقضـاتها أجـانب ولغتها أجنبية وقانونها وضعيٌّ علماني.
ولما زادت فوضى القضاء القنصـلي الـذي توزّعته سـبع عشـرة محكمة قنصـلية نُظِّمت هـذه الفوضى في عـام 1875 بإنشـاء المحـاكم المختلطة, وقضـاتها أجـانب, ولغتها فرنسية, وشريعتها هي قـانون نـابليون, وأغلبية قضـاتها أجـانب, والرئاسة فيها للأجـانب. وكـان تزايد النفوذ الأجنـبي في مصر وخاصة في المجـال القضـائي والتشــريعي هو مقدمة الاحتلال الأجنــبي كما ذكــرت, وقـرّرت بريطانيا أن تحتل مصر بحجّة وجـود قلاقل بها, وانحاز الخديوي توفيق للإنجليز وطلب حمايتهم.

وهنا لا بد من وقفة لإبــراز دور علمــاء الأزهر الــذين وقفــوا موقفًا مجيــدًا يُسـجّل بمــاء الــذهب في هــذه الأحداث, فأثناء القِتال مع الغزاة الإنجليز أصدر الخديوي توفيق أمـــره بعـــزل أحمد عـــرابي وزير الجهادية من منصـبه, وطلب عـرابي بعقد جمعيـةٍ عمومية للنظر في قرار العـزل, فعُقِد اجتمـاع في 6 من رمضـان من عـام 1299 هـ الموافق 22 من يوليو لعام 1882م حضره نحو خمسـمائة من الأعضـاء يتقـدمهم شـيخ الأزهر وقاضي قضاة مصر ومفتيها ونقيب الأشراف وبطريرك الأقباط وحاخـام اليهـود والنـواب والقضـاة والمفتشـون ومـدير المديريات وكبار الأعيان وكثيرٌ من العُمد فضلاً عن ثلاثة من أمراء الأسرة الحاكمة, وفي الاجتماع أفتى ثلاثة من كبـار شـيوخ الأزهر وهم: الشـيخ محمد عليش, والشـيخ حسن عـدوي, والشـيخ الخلفـاوي بمـروق الخـديوي عن الـــدين؛ لانحيـــازه إلى الجيش المحـــارب لبلاده, وبعد مداولة الرأي أصدرت الجمعية قرارها بعدم عزل عـرابي عن منصبه, ووقْف أمر الخديوي ونُظّاره وعـدم تنفيـذها لخروجه عن الشرع الحنيف.

مؤسسة السحاب:
الشـــيخ عليش.. هو محمد بن أحمد بن محمد عليش أبو عبد اللـه, فقيـهٌ من أعيـان المالكية مغـربي الأصل من

أهل طرابلس الغرب, وُلِد بالقاهرة وتعلّم بالأزهر وولي مشـيخة المالكية فيـه, ولمّا كـانت ثـورة عـرابي اتُّهِم بموالاتها فأُخِذ من داره وقد شـارف الثمـانين عامًا وهو مـريض محمـولاً لا حـراك بـه, وأُلقي في سـجن المستشفى فتوفي فيه رحمه الله.
وله الكثـير من المؤلفـات, منها (فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك), الـذي أجـاب فيه على استفتاءٍ من الأمـير عبد القـادر الجزائـري عن مصـالحة سـلطان المغـرب للفرنسـيين وتعديه على المجاهـدين وقطعه للمؤنة عنهم, وهل يجـوز لهم قتاله إذا أراد قتالهم وقتلهم وأسرهم وتسليمهم للفرنسـيين, فكـان مما جاء في جوابه:
"نعم يحـرم على السـلطان المـذكور أصـلح الله أحواله جميع ذلك الـذي ذكـرتم حرمة معلومة من الـدين بالضـرورة لا يشك فيها من في قلبه مثقـال ذرة من الإيمـان, والمهادنة الـتي أوقعها فاسـدة منقوصة, وبيع البقر وسـائر الحيـوان والطعـام والعـروض -يقصد للفرنسـيين- وكل ما ينتفعـون به في النازلة المـذكورة حـرامٌ قطعًا إجماعًا ضـرورة لا يشك فيه مسـلم, سـواءٌ في حـال حصر المسـلمين إيـاهم وفي حـال عدمـه, إذ قتـالهم فـرض عينٍ على كل من فيه قـدرةٌ عليـه, وإن اقتحم -يقصد سـلطان المغـرب- الأمر وشق العصـا وأتـاكم بجيشه وجب عليكم قتاله وجوبًا عينيًّا إذ هو حينئـذٍ كالعـدو والبغـاة المتغلـبين الفـاجئين القاصـدين الأنفس والحـريم لعدوانه وتجاريه على ما أجمع المسـلمون على تحريمه وهو أنفسـكم وحـريمكم وأمـوالكم, ومنعكم مما هو متعينٌ عليكم بالإجمـاع من جهـاد الكفـار الفـاجئين لكم, والمقتـول منكم في قتاله كـالمقتول في قتـال الكفـار ليس بينه وبين الجنة إلا طلـوع الـروح, فصـمِّموا على قتاله وأعـدوا له ما استطعتم من قوة".
(الأعلام للزركلي ج6 ص19 – فتح العلي المالك ج2 ص 491 إلى 498)

الشـيخ العـدوي.. هو حسن العـدوي الحمـزاوي, فقيـهٌ مـالكي تعلّم ودرس بـالأزهر وتـوفي بالقـاهرة, ولمّا

استولى الإنجليز على مصر قُدِّم الشيخ العدوي للمحاكمة وقد شارف على الثمانين عامًا, وسأله رئيس المحكمة إن كان قد وقّع على قرارٍ بأنّ الخديوي توفيق يستحق العزل, فأجاب الشيخ بأنه لم يرَ الورقة التي يتحدث عنها رئيس المحكمة, ولكنه لو أحضر له ورقةً بهذا المعني فسيوقعها ويختمها بخاتمه أمام المحكمة, فبُهِت رئيس المحكمة وأمر بإخراجه ثم نُقِل إلى قريته واعتُقِل بها.

الشيخ أيمن الظواهري - حفظه الله:
وبعد أن احتل الإنجليز مصر أداروا أمورها بطريقةٍ ماكرة لا زالت تتكرر حتى اليوم, فقد كان لمصر هيكل حكومة فكان لها حاكم خديوي أو سلطان أو ملك, وكان لها حكومة وبرلمان وجيشٌ وشرطة وصلةٌ اسمية بالدولة العثمانية حتى بداية الحرب العالمية الأولى, بينما كان الحكام الفعليون الذين يديرون كل شيء هم الإنجليز, بمندوبهم السامي وجيوشهم وبطشهم ومستشاريهم الذين تغلغلوا في الإدارات والمصالح المصرية.
واليوم تتكرّر قصة الأمس, فلمصر رئيسٌ وحكومة وبرلمان وجيشٌ وشرطة, ولكن الحاكم الحقيقي الفعلي غيّر مكانه من السفارة البريطانية للسفارة الأمريكية!
وقصة مصر تتكرّر في غيرها من بلدان عالمنا الإسلامي ففي كل قُطر حاكم ربما كان (قادروف) وربما كان (كرزاي) وربما كان (المالكي) وربما كان (عبد الله آل سعود) أو (ابن الحسين) وربما كان (علي عبد الله صالح) وربما كان (أبو تفليقة) وربما كان كبير الصهاينة العرب (حسني مبارك) أو نجله الزعيم المنتظر, ربما كان أيًّا من هؤلاء ولكن التبعية هي التبعية والاحتلال هو الاحتلال, حكومةٌ ووزارة وشرطةٌ وأجهزة أمن متوحشة وسجونٌ ومعتقلات وجيش مسلطون علينا, وحاكمٌ فعلي يديرها من مكتبه في السفارة التي غالبًا ما تكون أمريكية وربما كانت روسية أو بريطانية أو فرنسية أو حتى إسرائيلية.
وكان للإنجليز بعد احتلالهم لمصر دورٌ كبير في إفساد

نظام الحكم فيها, وذلك عـبر السـعي في إنشـاء الدولة العلمانية العصـــبية الـــتي تـــزعم أنها دولـــةٌ مســـتقلةٌ ديمقراطية, بينما هي في حقيقتها دولةٌ تُسيّرها جِـراب المحتل ومدافعه ثم من بعده سـياط وكلائه وسـجونهم, وقد تم لهم ذلك عبر عدة مساعٍ منها:
إفساد النظام التشريعي, فبعد عامٍ من احتلال الإنجلـيز لمصر تم تعميم القـوانين الوضـعية في عمـوم القضـاء المصري في ما عدا شؤون الأسرة والأحوال الشخصـية, ومع بداية الحـــرب العالمية الأولى عـــام 1914 والـــتي حاربت الدولة العثمانية فيها ضد إنجلترا سـلخت إنجلـترا مصر من التبعية للدولة العثمانية, وخلعت على حـــــاكم مصر لقب "سـلطان" لأول مـرة مما يُشـعِر بتحـرره من التبعية للسـلطان العثمـاني, واسـتكمالاً للأطر العلمانية للدولة دفعت إنجلترا الطبقة الـتي اصـطنعتها من أبنـاء مصر لوضع دسـتورٍ علمـاني يرسِّـخ أسس العلمانية في مصـــر, فوضـــعت على يد حـــزب الأحـــرار الدســـتوريين المتعاطف مع الإنجلـيز دسـتور عـام 1923 الـذي انـتزع حق التشـريع من المـولى سـبحانه وأعطـاه للبرلمـان, وأقـرّ بـأن جميع السـلطات مصدرها الأمة, وكـان بـذلك أول دســـتورٍ مصـــري بل أول دســـتورٍ يوضع في البلاد العربية والـذي يُعتـبر أسـاس جميع الدسـاتير المصـرية التي وُضِعت بعده, بل أسـاس جميع الدسـاتير في البلاد العربية الـتي نقلت عنـه, ولمزيـدٍ من التفصـيل عن أثر ذلك الدســـتورِ على ما تلاه من دســـاتير يمكن مراجعة بداية الباب الثاني من كتاب "الحصاد المر".
وبوضع دستور عام 1923 تم استكمال الأسس الشـكلية للدولة العلمانية القومية في مصر, دولة انفصـــلت عن الخلافة العثمانية فلم يعد الولاء فيها للـدين, بل صـارت دولـةً عصـبية الانتمـاء فيها للـوطن, ودولـةٌ تـزعم أنها مستقلة ديمقراطية, السيادة فيها للأمة, بينما هي تابعةٌ مقهورة, السيادة فيها لمدافع الإنجلـيز وجِـرابهم (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَـابَهُ خَيْـرٌ اطْمَـأَنَّ بِـهِ وَإِنْ أَصَـابَتْهُ فِتْنَـةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِـهِ خَسِـرَ الـدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

وأكتفي بهذا القـدر في الحلقة الأولى, وأسـأل الله أن

يعينـــني على إكمـــال (رســـالة الأمل والبِشر لأهلنا في مصر) وأن يجعل عملنا كله صالحًا ولوجهه خالصـًا, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العـــالمين, وصـــلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم, والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



صفحة نخبة الإعلام في:

منبر التوحيد والجهاد
http://tawhed.ws/c?i=371

الدليل المركزي
مؤسسة البراق الإعلامية
http://up2001.co.cc/central-guide



